تمهيـد

تعتبـر مسـألة الهويـة إحـدى القضـايا الهامـة التـي تتغـذى منهـا الأزمـة الراهنـة فـي الجزائر، وهي تطرح نفسها اليوم بحدة، خاصة مع تأزم الوضع في منطقة القبائل ووصول البعض حتى إلى المطالبة بالاستقلال الذاتي لهذه المنطقة.

وإذا كان بروز العنصر الثقافي ليس بالحدث الجديد على الإطلاق، إلا انه بلا شك يتخذ في كل مرة شكلا جديدا وفقا للدور الذي يلعبه، فمن أداة لمقاومة المستعمر، إلى أداة لشرعنة الدولة و الفئات الحاكمة، ثم في الأخير أداة للعنف و الاحتجاج و بشكل أدق الإرهاب.

7. المقاربة الثقافية لظاهرة الإرهاب في الجزائر

1.7. دور الاستعمار الفرنسي في بروز أزمة الهوية في الجزائر

وكما سبق وأن قلنا فإن العنصر الثقافي المتمثل في مسألة الهوية ليس بالحدث الجديد، حيث تمتد جذور هذه المسألة إلى تاريخ قديم يسبق المرحلة الاستعمارية -(الاستعمار الفرنسي للجزائر 1830-1962)- بسنوات كثيرة، إلا أن الاستعمار الفرنسي ركز بشكل كبير على هذا العنصر من أجل تفتيت وحدة الشعب الجزائري فاتحا بذلك ملفا شائكا سيكون في وقت لاحق من تاريخ الجزائر أحد أهم الأسباب المغذية لأزمة هذا البلد.

ليس سرا أن الاستعمار الفرنسي عمل منذ البداية على محاولة تشويه الهوية الثقافية للشعب الجزائري، كما عمل على محاولة ضرب شخصيته المميزة، وذلك من خلال إثارة النعرات الاثنية تارة، ومحاولة التنصير تارة أخرى، ومن خلال تغليب البربرية على العربية كلما سنحت الفرصة، وتشجيع الهجرة إلى فرنسا، إلى آخر سلسلة التقسيمات الإدارية و العسكرية التي ابتدعها لمنع تلاحم السكان و تمازجهم وللإبقاء على البنى القبلية الكفيلة بحماية مصالحهم [1].

في ظل الظروف التي تعيشها الجزائر تحت نير الاستعمار، ظهر إلى الوجود جمعيات تحاول المحافظة على الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري لعل أهمها جمعية العلماء المسلمين التي أخذت على عاتقها هذه المهمة ووقفت بذلك في وجه الاستعمار لكن ذلك كان بشكل سلمي، حيث كان هدفها الدفاع عن الإسلام وتدريس اللغة العربية، وقد فتحت مدارس*، وأنشأت مساجد في المدن الرئيسية, كما رفضت أن توصف بحزب سياسي و فضلت أن يقتصر نشاطها على توعية المجتمع الجزائري حتى لا ينسلخ عن هويته[2].

---

1) عبد الباسط دردور، مرجع سابق، ص 39.

* هذه المدارس لم تكن تلك المدارس القرآنية التي يتعلم فيها الأطفال القران الكريم، ويحفظونه عن ظهر قلب دون فهم لمعانيه، وانما كانت مدارس فيها أقسام أين يجلس الأطفال على مقاعد ويكتبون على طاولات مقابل سبورة، ويدرسون الآداب، التاريخ، الجغرافيا، العلوم، والرياضيات...إلخ كل ذلك يتم باللغة العربية. وهي بذلك – أي المدارس – لا تختلف عن المدرسة الفرنسية التي كانت موجودة بالجزائر أثناء الاستعمار.

2) Lahouriaddi, L'Algérie et la démocratie, pouvoir et crise du politique dans l'algerie contemporaire éd la découverte, paris, 1995, p19.

كما أن جذور فكرة الهوية لا ترجع لأثر الاستعمار كمعطى خارجي بل إلى ما أحدثه هذا المعطى من تحولات و تغيرات أدت إلى انقسام المجتمع على ذاته, إذ لم يكن

الاستعمار الفرنسي مجرد ضغوط خارجية، بمعنى آخر مجرد مجموعة من البشر جاءت لتحتل و تستوطن ينتهي أمرها بمجرد الخروج أو الانسحاب من أرض الوطن.

ولم يكن الاستعمار لغة في مواجهة لغة, أو أخلاقا في مواجهة أخلاق, بل كان الاستعمار الفرنسي منظومة ظاغطة من المؤسسات و الاجراءت كان من أهم نتائجها فرض لغة و أخلاقيات جديدة, و خلق مجموعة من التحولات الثقافية، و الاقتصادية، و السياسية تفكك البنية الاجتماعية القائمة و تدفع شروطا جديدة في مجالات الإنتاج و الحكم و الإدارة و الاتصالات [1].

لم تقتصر آثار تلك المنظومة الظاغطة من المؤسسات و الإجراءات التي خلقها الاستعمار الفرنسي على المرحلة الاستعمارية من تاريخ الجزائر فحسب, و إنما انعكس ذالك بشكل لا يدع مجالا للشك على جزائر ما بعد الاستقلال و على الشعب الجزائري "الحر"، حيث لا يمكن لأحد اليوم أن ينكر أن الشعب الجزائري مسلوب الهوية حتى و إن وجد هذا معارضة من البعض كون الشعب الجزائري انتماءاته هي للحضارة الإسلامية أكثر منها للحضارة الغربية, و يدللون على ذلك ببعض الأحزاب و الجماعات التي تمثل الشعب و التي تتخذ من العروبة و الإسلام مشروعا لها،هنا نقول أنه حتى و إن كان القول السابق على قدر كبير من الصحة، إلا أن بعض الأشخاص الذين يديرون شؤون الجزائر اليوم هم أولائك الذين تربوا في حضن الثقافة الفرنسية.

وهنا نفتح قوسا(لنقول أننا لا نشكك في وطنية هؤلاء لأنه لا يجب علينا نحن أبناء الاستقلال أن نصدر أحكاما غير مؤسسة على أشخاص أدوا في وقت سابق من تاريخ الجزائر واجبهم الوطني، إلا أنه يمكننا القول أن الشعب الذي تتعامل معه إدارته باللغة الفرنسية، ويتابع برامجه الإعلامية المقدمة إليه بلسان فرنسي كما يفضل شراء كل ما يستهلكه من سلع إذا كانت ذات ماركة " صنع في فرنسا " والأخطر من هذا كله أن يمثله رئيسه المنتخب في أكبر المحافل الدولية لكن ليس بلغة الوطن التي من المفروض -وإن لم نخطئ هي اللغة العربية-بل بلغة فرنسية راقية جدا يصعب حتى على الفرنسيين

---

1) عبد الباسط دردور، مرجع سابق، ص15.

فهمها. إن هذا الشعب لا يمكن أن نصفه إلا بأنه مسلوب الهوية حتى وإن كانت الدماء التي تجري في عروقه هي أكثر عروبة وغيرة على الإسلام من البعض...

وهكذا فقدت العربية مكانتها الأولى كوسيلة تعبير رسمية نتيجة العلاقات بين الغالب و المغلوب التي فرضها الاستعمار، وفي هذا السياق يقول " عمار بلحسن" نقلا عن " مصطفى الأشرف " " كانت اللغة العربية دائما في وضعية المغلوب خلال الاستعمار وبعد الاستقلال، فتقهقرت كأداة تعبير وتخاطب وتوصيل، وبقيت أداة تراثية مقتصرة على المبادئ بعجز واضح عن مواكبة المستجدات ".

وعليه ظهرت الفرنسية كلغة دنيوية مسيطرة في دواليب الإدارة والاقتصاد و الحكم الاستعماري وتقوقعت العربية وظهرت كسمو روحي وجسد ممتاز للآخرة، نتيجة إضفاء الطابع الديني عليها بحجة روابطها مع الكتاب و الوحي و النص الديني، وفي هذا المناخ الثقافي تحددت المجالات ما بين ديني ودنيوي، وتعددت أنماط المثقفين ما بين العربي، و المفرنس، وهذا يعني انقسام المجتمع على ذاته ثقافيا وهو انقسام يشكل أرضية خصبة لظهور فكرة الهوية[1].

وفيما يتعلق بتقوقع اللغة العربية في الجزائر المعاصرة، فإن ذلك يرجع إلى عدم قدرة العربية على مواكبة التطور الحاصل على جميع المستويات كما يعتقد الكثير، غير أن ذلك في اعتقادنا ماهو إلا حجة يقدمها هؤلاء لتبرير موقفهم هذا، ذلك أن بعض البلدان العربية تمكنت من تدريس الطب باللغة العربية دون أي إشكال، فالقضية إذن هي مسألة قناعة يحملها البعض في أفكاره تجعله يتعصب لثقافة معينة وليس نقصا ما في اللغة العربية.

لقد استخدم الاستعمار الفرنسي طرقا مختلفة لمحاربة اللغة العربية والإسلام سيما منه للقضاء على الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، ففي عام 1904 صدر قانون يمنع تدريس اللغة العربية إلا بإذن خاص من سلطات الاحتلال، وحتى لو حصل أحدهم على مثل هذا الإذن كان عليه أن يكتفي بتدريس القرآن الكريم مع التغاضي عن كل الآيات التي تشير فيه من قريب أو من بعيد إلى " الجهاد ".

---

1) المرجع نفسه، ص17.

وكان المرسوم الأول الذي أشير فيه صراحة إلى " المسلمين الفرنسيين " بهدف تعزيز عملية الدمج قد صدر عام 1885 وألحق عام 1938 بالقانون الذي يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية، كما بدأت منذ ذلك الحين المحاولات الدؤوبة لتشجيع استعمال العامية كمدخل

لمخاطبة عامة الشعب، وخلق البلبلة في صفوفه، وتشجيع استعمال اللهجة البربرية، كما طال الاضطهاد كل ما يمس التراث الوطني الجزائري من كتب ووثائق و مخطوطات وحتى التراث الفلكلوري و الشفهي، وكان أبرز ضحايا هذا الاضطهاد المكتبة الشهيرة التي شيدها " الأمير عبد القادر" والتي أحرقت مباشرة بعد إلقائه السلاح[1].

من خلال ما سبق ذكره, يمكننا أن نلاحظ أن جذور القضية الأمازيغية التي تعيشها الجزائر اليوم تعود إلى الحقبة الاستعمارية و التي استعملتها(أي الأمازيغية) فرنسا كسلاح لمحاربة الهوية العربية للجزائريين.

و يبدو أن هذا السلاح كان فعالا جدا، "ففي عام 1949 طالب المناضلون ذوو الأصول الأمازيغية في فدرالية فرنسا (باريس . ليون) لحزب الشعب الجزائري PPA من "مصالي الحاج" زعيم الحزب ضرورة إظهار العلاقة بين الإسلام و السياسة, حيث كانت الثقافة السياسية لهذا الأخير لا تفصل بين السياسة و الدين، و بالتالي طالبوه بإدارة الظهر لهذه الثقافة, و ضرورة جعل خطاب الحزب "علماني", كما طلبوا منه التراجع عن الرمزية الدينية[2]، هؤلاء اللائكيون حتى وان لم يكن لأصواتهم صدى لدى الشعب الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي, إلا أنه سيكون لهم دور بارز في الأحداث التي ستعيشها الجزائر المستقلة.

و إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تطالب اليوم الدول العربية و الإسلامية باستبعاد الآيات القرآنية الداعية إلى الجهاد بحجة القضاء على الإرهاب، و هو للأسف الشديد ما قامت به الحكومة الجزائرية حيث منعت تدريس هذه الآيات و غيرت كتب التربية الإسلامية من أجل ذالك، فان فرنسا كانت قد طبقت هذه الاجراءت منذ قرن من الزمن (1904).

---

1) المرجع نفسه، ص40.

PPA : حزب الشعب الجزائري

2) Lahouari addi, op., cit., p23.

و بالتالي فإن هذا الأسلوب هو إحدى الوسائل التي يستخدمها الاستعمار من أجل سلخ الشعوب المستعمرة من هويتها و هذا ما يؤكد أن ما تقوم به أمريكا اليوم هو فعلا" استعمار عالمي" كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك في الفصول السابقة من هذه الدراسة.

لقد نجحت فرنسا في أثناء الحقبة الاستعمارية في تفريق التوجهات الإيديولوجية للنخبة السياسية الجزائرية حيث ظهرت في ساحة الأحداث عدة جمعيات و أحزاب سياسية لكل منها توجه معين يختلف عن غيره, و لعل أهمها: الناشطين السياسيين الأصليين MTLD - PPA الذين خلقوا FLN في عام 1954؛ العلماء المجتمعون في الجمعية الدينية AUMA(جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) التي قادها "عبد الحميد بن باديس " المتوفى عام 1940؛ حزب "فرحات عباس"؛ و أخيرا الشيوعيون المتواجدون في التنظيمات النقابية و العمالية.

هؤلاء الفرقاء السياسيون حتى و إن وحدهم حبهم لأن يروا الجزائر مستقلة في يوم ما, إلا أن هذه الوحدة لن تدوم طويلا و سيعود التصادم الذي سبق الثورة التحريرية الجزائرية ليطغى من جديد على مسرح الأحداث السياسية في الجزائر المستقلة.

2.7. عدم الاتفاق حول القيم و المعايير في المجتمع الجزائري

بعد استقلال الجزائر في 5 جويلية 1962، كانت بداية الصدام بين تيارين أيديولوجيين متعارضين، حيث تغلغلت بعض العناصر في النظام وفتحت المجال أمام التيار التغريبي المتكون أساسا من المثقفين باللغة الفرنسية و الشيوعيين، هذا التيار التغريبي يبدي في كل مرة تطرفا و تصلبا حيال كل ما يتعلق بمظاهر الشخصية الوطنية الجزائرية، سيما بعديها العربي والإسلامي.

ويطلق على هؤلاء" حزب فرنسا"* لأنهم يرون أن روابط الجزائر بفرنسا هي روابط تاريخية، وأن المجتمع الجزائري أقرب ما يكون إلى فرنسا نتيجة لفترة الاحتلال

MTLD : حركة انتصار الحرية الديمقراطية

FLN : جبهة التحرير الوطني

AUMA : جمعية العلماء المسلمين

* أما هم فيطلقون على أنفسهم أوصافا مثل منظمات " المجتمع المدني" و " القوى الحية" في المجتمع وهؤلاء هم الذين عطلوا التعريب في الأجهزة الحكومية، وأغلقوا أبواب الوظائف في وجوه دارسي اللغة العربية وخلقوا انطباعا في المجتمع مؤداه أن صاحب اللسان العربي لا مستقبل له بينما صاحب اللسان الفرنسي مفتوحة له كل الأبواب.

الفرنسي الطويلة للجزائر و التي دامت 132 سنة، وقد اخترقوا المواقع الحساسة في مؤسسات الدولة، فقد بدأوا يؤسسون لوجودهم ويغرسون جذورهم في البنية الأساسية للدولة الجزائرية منذ أواخر سنوات الثورة وبداية عهد الاستقلال.

لقد قامت فرنسا بتسريح الضباط الجزائريين العاملين في جيشها، و الذين ضموا لاحقا إلى جبهة التحرير الوطني والجيش، حين تأكد الجميع من أن الجزائر ستنال استقلالها إن عاجلا أم آجلا. في الوقت ذاته سلمت السلطة الفرنسية جهاز الإدارة إلى
حوالي ثلاثة آلاف إطارا ممن تربوا على يدها وتخرجوا من مدرسة الإدارة العليا التي أسستها والتي لعبت دورا مؤثرا في مجمل الحياة الجزائرية في تاريخ لاحق[1].

وهكذا أمسك التيار التغريبي بزمام أقوى جهازين في الدولة الجزائرية وهما: الجيش والإدارة، وبمرور الزمن تخرج على أيدي هؤلاء تلامذة جدد أخذوا المشعل لمواصلة ما قام به أسلافهم.

لقد أصبح الجيش حكرا على بعض الأشخاص وحاشيتهم المحيطة بهم من أقاربهم ومعارفهم فلا يتقاعد فلان حتى يحل محله ابنه أو أحد أقاربه ليضمن بذلك احتكاره للسلطة العسكرية في الجزائر، والشيء ذاته بالنسبة للمراكز الإدارية العليا في الحكومة الجزائرية حيث أن الوزراء و السفراء ورؤساء أجهزة الدولة الذين تخرجوا من مدرسة فرنسا لن يتركوا مناصبهم إلا لأقرب المقربين إليهم وهكذا لن يتغير في الأمر شيء على الرغم من تغير الوجوه، وهنا يحق لنا أن نتساءل عن الفرق بين النظام الملكي و النظام الديمقراطي الذي يتحدث عنه البعض، فالسلطة متوارثة في كلتا الحالتين.

في مقابل هذا التيار، يوجد التيار الداعي إلى الأصالة و الحفاظ على الثوابت الوطنية للجزائر المتمثلة في اللغة العربية والإسلام، وقد كان يشعر هؤلاء في أثناء حكم الرئيس " بن بلة" والرئيس الراحل " هواري بومدين" برفض الإدارة لهم كما كانوا يعاملون بفوقية شبيهة بتلك التي كان يعاملهم بها الاستعمار الفرنسي، إذن لقد ذهب الاستعمار لكن نهجه بقي في الجزائر.

كما عمد النظام إلى كتم بعض الأصوات المعارضة من المثقفين الوطنيين سيما أولئك الذين أعلنوا رفضهم لتوجه السلطة السياسي " الاشتراكي" من أمثال الشيخ " البشير

---

1) عبد الباسط دردور، مرجع سابق، ص 45.

الإبراهيمي" الذي خلف " عبد الحميد بن باديس" في رئاسة جمعية العلماء المسلمين بعد وفاته ورأوا أن النظام قد انحرف عن مبادئ ثورة نوفمبر 1954.

غير أنه لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن ننفي انتعاش المشهد الثقافي في الجزائر بعد الانقلاب السياسي للعقيد " بومدين" في 19 جوان 1965، فبعد التهميش الذي لقيه هذا التيار مباشرة بعد الاستقلال وجد هؤلاء بعض الاهتمام من قبل الرئيس " بومدين" الذي كان يبحث عن مساندة تقوي مركزه لذلك عرض عليهم مناصب وزارية في حكومته إلا أنها انحصرت في وزارات التربية الوطنية، والعدل، والشؤون الدينية[1].

على الرغم من هذا الاهتمام، لم يحصل تيار الأصالة إلا على جزء بسيط من حقوقه مقارنة بالتيار التغريبي، هذا الأخير ضيق الخناق على المثقفين باللغة العربية لذلك ابعدوا من المواقع الاستراتيجية داخل السلطة والإدارة والإعلام و الجيش، مما أتاح الفرصة لبروز نخبة المثقفين التغريبيين الذين أمسكوا بزمام الأمور وحاولوا التأثير على الرأي العام بفرض طروحاتهم التي لا تتفق في الغالب مع طروحات الشعب الجزائري،

حيث أحدثت هذه النخبة هوة واسعة بطروحاتها بين النظام – على اعتبار أنها طرفا فيه – وبين غالبية الشعب الجزائري الذي بقي متمسكا بمبادئه الأساسية – إلى حد ما – والتي كانت ثورته ضد فرنسا مستمدة منها.

وهنا يكون النظام قد أخطأ في حساباته عندما تجاهل بشكل كبير أولائك الأشخاص الذين كانوا يمثلون الغالبية العظمى من الشعب و الذين استطاعوا أن يحققوا هذه الشعبية لطروحاتهم من خلال المبادئ و الثوابت التي يؤمن بها هذا الشعب وليس كما فعل التيار التغريبي الذي يريد استيراد ثقافة كانت في يوم من الأيام ثقافة عدو، هذه القناعة هي التي لا يمكن لأي فرد من أفراد الشعب الجزائري أن يتخلى عنها.

لقد لخص زعيم حزب التجديد الجزائري واقع هذا الصدام في قوله[2]:

> " إن في الجزائر قوى معينة، لها غطاء سياسي عام، ولكن مضمونها يهدف إلى تغيير الانتماء الحضاري للجزائر، وهذه القوى المناهضة لعروبة الجزائر تريد أن تدفع بالجزائر إلى اتجاه (غربي لاتيني) في حين أنه ليس من حق أحد أن يشكك في انتماء الجزائر للعالم العربي والإسلامي، وليس من حق أي جيل أو أي حزب أن يعيد النظر في هذا الانتماء،لأنه يشكل محصلة تاريخية، لا يمكن أن نعيد النظر فيها كل يوم، ولذلك فإنه لابد من حسم هذه المسألة بأن نضع في الدستور ثوابتا لا يمكن لأي إنسان أن يغيرها كلما رأى ذلك، حتى ولو أدى الأمر إلى إجراء استفتاء عام حول هوية الجزائر، عربية أو إسلامية، وهل نريد البقاء في المحيط الإسلامي العربي، أم نريد الانضمام إلى أروبا على غرار المثال التركي وهي أمور يستطيع الاستفتاء العام حسمها".

---

1) Yacine Tassadit, Algérie : comprendre la crise deuxième tirage, édition complexe, paris,p163.

2) عبد الباسط دردور، مرجع سابق، ص46.

وإذا كان دعاة الأصالة و المحافظة على الثوابت الوطنية قد عانوا كثيرا من تهميش النظام لهم، فإن ذلك لم يمنعهم من النشاط السياسي و مواصلة النضال الذي بدأه أسلافهم الذين حاربوا الاستعمار الفرنسي بدءا من الأمير " عبد القادر"، والحاج " أحمد باي"، وثورة التحرير الوطنية في نوفمبر 1954، لذلك لم يبق هؤلاء مكتوفي الأيدي، بل ناضلوا من أجل التخلص من التبعية الاستعمارية في أشكالها الجديدة (أي الولاء لفرنسا بعد الاستقلال).

ويبدو الأمرا طبيعيا أن تواصل هذه المرجعية النضالية الإسلامية مسيرتها النضالية التحريرية بالمعاني و المفاهيم الجديدة للتحرر الثقافي، والاقتصادي، و السياسي وأن تكون لها رؤاها الأصلية من أجل إقامة مشروعها الحضاري الإنساني.

3.7. حركات الإسلام السياسي وأولى جماعات العنف في الجزائر

كان الاتجاه الإسلامي موجودا منذ الاستقلال كما سبق وأن ذكرنا إلا أنه في المرحلة الأولى كان متطابقا مع جمعية العلماء المسلمين، وإذا كان نشاط الحركة الإسلامية موجودا كذلك منذ عهد الاحتلال، فإن هذه الحركة تبلورت بشكل واضح مع الاستقلال من خلال نشاط " جمعية القيم" وهي وجه آخر من أوجه التعبير عن التيار الإسلامي، كذلك من خلال الدور البارز الذي لعبته بعض الوجوه الرموز في الحركة أمثال " مالك بن نبي "، " رشيد بن عيسى"، " أحمد سحنون"، وغيرهم، وعلى الرغم من المضايقات التي أخذت أشكالا وصيغا عديدة خلال الستينات و السبعينات فقد بقيت الحركة الإسلامية متمسكة بأسلوب الدعوة السلمية، والنشاط الثقافي في المساجد و الجامعات [1].

---

1) عنصر العياشي، سوسيولوجيا الديمقراطية والتمرد بالجزائر، ط1، دار الأمين، القاهرة، 1999، ص59.

لقد أخذت " جمعية القيم" طابعا رسميا عندما تم تكوينها في عام 1964، وبعد سلسلة كبيرة من المناوشات الكلامية مع اليسار العلماني- نقابيا أو جامعيا – واجهت الجمعية أول

هزيمة لها بعد الإطاحة برئيسها من منصب السكرتير العام لجامعة الجزائر وتم بعد ذلك حظر نشاطها في 22 سبتمبر 1966 لأنها قامت بإرسال رسالة إلى جمال عبد الناصر تحتج فيها على إعدام " سيد قطب"، وفي 19 مارس من السنة نفسها تم حل هذه الجمعية.

غير أنه ومنذ أواخر الستينات بدأت تظهر جماعات إسلامية منظمة تنظيما جيدا اتخذت من المدارس و الجامعات قواعدا لانطلاقتها الأولى، وفي أوج اندفاع الثورة الزراعية شكل الطلبة الإسلاميون عددا من " الكتائب الطلابية" لكي يواجهوا بها " لجان الثورة الزراعية" وتعرضت هذه اللجان عندما اجتمعت في جامعة" بن عكنون" في موسم

1973 و1974 إلى هجمات حقيقية بالعصي و الهراوات من قبل الكتائب الإسلامية التي كانت تعتبر نفسها في مواجهة مع الإلحاد ومع أذناب الثقافة الفرنكفونية.

ففي "جامعة سطيف" - مثلا- وزعت على الملأ منشورات تحمل توقيع الجماعات الإسلامية، وحين تم إعلان تأسيس" الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية" برعاية جبهة التحرير الوطني، جرت مواجهات عنيفة قتل فيها طالبان من الطلبة" التقدميين" ومن الطلبة" الإسلاميين"، وجرت حوادث عديدة متفرقة في شتى أنحاء البلاد،حيث كان الشاب الذي يتعرض لفتاة في مدينة " قسنطينة" يعاقب فورا وبلا محاكمة " بالفلقة" [1].

وتأسيسا على ما سبق، نقول أن أولى جماعات العنف كانت مقتنعة بما تفعل لأنها أصبحت متشبعة بأفكار تعتقد هي بصحتها، كما أنها جماعات مثقفة انطلقت من الجامعات حاملة قناعات أيديولوجية كانت قد شربتها من الفكر الاخواني(الإخوان المسلمين)، وكذا من الثورة الإسلامية في إيران عام 1979.

كما كانت أبرز القيادات الإسلامية إما أساتذة أو طلبة في جامعات الجزائر، ومن هؤلاء على سبيل المثال، " مالك بن نبي"، عبد اللطيف سلطاني"، " عباسي مدني"، " محفوظ نحناح"، " عبد الله جاب الله" ،...إلخ. وهذا يعني أن العنف الذي بدأت تمارسه

---

1) عبد الباسط دردور، مرجع سابق، ص ص 82-84.

الجماعات الإسلامية بشكل واضح مع نهاية السبعينات – خاصة مع رحيل الرئيس" هواري بومدين" الذي كان يشدد الخناق على هذه الجماعات- لم يكن عنفا من أجل العنف، وإنما كان مؤسسا على فرضية رئيسية تنطلق منها هذه الجماعات وهي "فرضية الجهاد".

ومع نهاية السبعينات، تحولت المواجهة إلى حركة عنف تجاوزت أبواب الجامعات، وكانت أولى الأعمال التي قامت بها جماعات الحركة الإسلامية هي تحطيم محلات بيع الخمور في مدينة " الوادي"، ثم تلتها مظاهرات واحتجاجات بسبب اعتقال أحد قادة الحركة في مدينة " الأغواط"، وسقط خلال تلك المظاهرات و المواجهات ضحايا من الطرفين: رجال الأمن، ومناضلي الحركة الإسلامية، وتصاعدت موجة الاحتجاج لتأخذ شكل اعتصام داخل مساجد المدينة، وإصدار بيان يدعو الشعب إلى الجهاد ضد " النظام الملحد".

وقد كان السبب الرئيس لهذه المواجهات هو رفض الحركة الإسلامية للخيارات والثقافية، والاقتصادية، و السياسية كونها غريبة عن المجتمع وبعيدة عن مرجعياته الثقافية و الدينية، بل مناقضة لها و مهددة أيضا، ومع بداية عقد الثمانينات ظهر تغير نوعي في خط الحركة تزامن مع بروز تنظيمات تفضل العمل المسلح وتدعوا إليه بشكل صريح، حيث عرفت الحركة الإسلامية اختلافات بين تيارين في قلبها التيار الأول هو " الدعوة السلمية"، أما الثاني فهو تيار" احتجاجي راديكالي " تجاوز أسلوب النقد الشديد واللاذع للنظام، وبرامجه، وممارساته إلى التفكير الجدي في اللجوء إلى العنف كأسلوب للوصول إلى السلطة [1]، ومن بين التنظيمات الأصولية الداعية إلى العنف كان هناك ثلاث تنظيمات هامة هي:[2]

- " تنظيم الجهاد" بقيادة كل من " بشير فقيه" و " الشيخ عثمان"، وقد أصبحا فيما بعد من القيادات البارزة في الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

- " جماعة أهل التوحيد و الدعوة" التي اعتبرت جزءا من " جماعة التكفير والهجرة " على الرغم من بعض الاختلافات بينهما، وكان على رأسها " الهاشمي سحنوني" الذي

---

1)عنصر العياشي، مرجع سابق، ص 59-60.

2) المرجع نفسه، ص 60.

أصبح بدوره من القيادات البارزة في جبهة الإنقاذ.

- أما أهم هذه التنظيمات فهي" الحركة الإسلامية المسلحة" بقيادة " مصطفى بويعلي"، وهي الأهم لأنها تعتبر بحق التنظيم المدشن للعنف المسلح ضد النظام، حيث وفي 11 ديسمبر 1981 قام أعضاء ينتمون إلى مجموعة ستعرف فيما بعد تحت إسم "مجموعة بويعلي" بإطلاق طلقات نارية من أجل التخلص من تفتيش قام به البوليس، وقاموا بذلك بقتل شرطي،

وأدت هذه المصادمات إلى اكتشاف متفجرات وأسلحة في منازل الهاربين، وقد عجلت الأحداث بتغيير موقف السلطة الحاكمة، فقامت بحملة اعتقالات ورفعت بذلك الستار الذي كان يغطي حتى ذلك الحين وجود تيار إسلامي.

غير أن الكثيرين لا يعرفون أن أولى جماعات داعية إلى العنف ضد النظام لم تكن" جماعة بويعلي"، وإنما كانت المجموعة التي تأسست عام 1980 على يد عامل يومي عادي كان أحد أعضاء" جماعة التبليغ" وقد انفصل عن جماعته مدعيا أن الجهاد
أصبح واجبا، وقد ظهرت هذه المجموعة الجهادية في منطقة " بني مراد" التي تبعد حوالي ثماني كيلومترات عن الجزائر العاصمة، واختارت أحد المجاهدين القدامى قائدا عسكريا لها، وكان رجلا متمرسا وذا خبرة عريضة، لكنه أمي لا يجيد القراءة و الكتابة، إلا أنه تم القضاء عليها في شهر أوت من عام 1981.

هذا التنظيم فتح الطريق واسعا ليظهر على المسرح بعد ذلك مباشرة" مصطفى بويعلي" متبنيا فكرة الخروج على الحكم الذي لا يطبق شريعة الله، وتتكون هذه الجماعة من نشطاء التيار الإسلامي الاحتجاجي المعروفين باسم" جماعة العاشور" نسبة إلى مسجد
بلدة " العاشور" حيث تلتقي الجماعة للصلاة وحلقات التدريس و الدعوة، ودامت تلك المرحلة التي عرفت أيضا نشاطا تنظيميا حثيثا لإعداد الجماعة للمهمة التي تنتظرها حتى غاية 17 نوفمبر 1982.

ويعتبر التاريخ السابق بداية لتدشين أولى عملياتها المسلحة وقد استهدفت رجال الدرك الوطني في كمين نصبته لهم، وكان زعيم الحركة على رأس المجموعة التي نفذت العملية، وبعد فترة وجيزة قامت الجماعة بعملية أخرى أكثر أهمية تمثلت في الهجوم على مدرسة للشرطة بـ" الصومعة "قرب العاصمة قتلت خلالها شرطيا واستولت على كمية معتبرة من السلاح، وبعد مواجهة و مطاردة النظام لهم التحقوا بجبال " الشريعة" قرب العاصمة، وكانت هذه النقطة بمثابة مرحلة تبلور التنظيم العسكري للحركة.

وعلى الرغم من القضاء على الحركة في جانفي 1987 بعد مقتل زعيمها ومجموعة من رجاله في كمين نصبته لهم قوات الدرك وأسر عدد آخر من قياداته، إلا أن ذلك لم يكن يعني نهاية العنف في الجزائر، بل على العكس كان إيذانا بتصعيده وبظهوره في شكل جديد تمثل في الإرهاب.

لقد حاول فريق من الإسلاميين ركوب أزمة الهوية التي كانت في وقت سابق سببا في وجودهم على الساحة السياسية الجزائرية لتصبح فيما بعد وسيلة لتحقيق غاياتهم ومحاربة النظام الفاسد- على حد قولهم - لكن على الرغم من أنه لا يمكننا بأي حال من الأحوال تأييد أعمال الإرهاب المنسوبة إلى الجماعات المسلحة، إلا أنه في الوقت نفسه لا يمكننا أن ننفي ضلوع النظام في وصول الجزائر إلى الحالة الراهنة، لأنه لولا التوجه التغريبي و الفرنكفوني الذي يتبناه بعض الأشخاص المتغلغلين في السلطة و الذين حاربوا الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري بشتى الوسائل التي يملكونها، المشروعة منها، وغير المشروعة، لما وجد أمثال" بويعلي" ومن خلفوه فيما بعد أي مبرر لما يقومون به من أعمال عنف شنيعة، ولما وجدوا تأييدا لهم من داخل المجتمع الجزائري.

لقد أخطا النظام في حساباته عندما أغفل حقيقة أن عدم الوعي و الفهم السطحي للدين الناجم عن الفراغ الديني الذي يعيشه المجتمع، والذي كان هو السبب في خلقه لعدم اهتمامه بهذا الجانب الهام من حياة الجزائريين، سيستغل كل ذلك في فترة لاحقة من تاريخ هذا البلد من طرف بعض الأشخاص الذين اتخذوا من أزمة الهوية التي يعيشها الشعب الجزائري أرضية خصبة لزرع أفكار متطرفة و متعصبة بعيدة كل البعد عن الإسلام الحقيقي، حيث أكدت الدراسة الميدانية التي قمنا بها على عينة من الإرهابيين الجزائريين أن هناك علاقة بين الفهم السطحي للدين والإرهاب، وهذا ما سيظهر بشكل واضح من خلال الدراسة الميدانية.

4.7. تحليل بيانات الدراسة الميدانية

الجدول رقم-1- : يبين رفض الإرهابيين لعمل المرأة

الاحتمالات	ك	%

نعم	22	%36.66
لا	38	**%63.33**
المجموع	60	%99.99

طرحنا على المبحوثين سؤالا يتعلق بعمل المرأة وهذا السؤال طبعا لا علاقة له بأسباب الإرهاب، وإنما كانت غايتنا من وراء ذلك معرفة الطريقة التي يفكر بها هؤلاء من جهة، ومحاولة تهيئتهم نفسيا للإجابة على بقية الأسئلة من جهة أخرى لأن تخوفنا من امتناعهم عن الإجابة كان كبيرا جدا.

لقد عارض المبحوثون عمل المرأة، حيث كانت نسبة الذين أكدوا عدم موافقتهم على ذلك **%63.33** وهي نسبة مرتفعة إذا ما قورنت بنسبة الذين يرون أنه لا حرج في عملها، وهذه النسبة المرتفعة إنما تؤكد حقيقة واحدة، وهي أن هؤلاء الأشخاص هم متعصبون جدا في تفكيرهم، حيث أنه ولانعدام الوعي الكافي لديهم لم يخبروا أن ابتعاد المرأة عن ممارسة أي عمل خارج بيتها إنما يؤدي ذلك إلى شلل خطير يصيب المجتمع، لأن النساء يمثلن نصفه ولا يمكن بأي حال من الأحوال حرمانهن من بناء المجتمع الذي يعيشن فيه، وبالتالي فهذا ما هو إلا رأي متطرفين دينيا، وسيتضح ذلك أكثر بعد قراءة الجدول رقم -2-، حيث سألناهم عن سبب معارضتهم لعمل النساء فكان تبريرهم بالرجوع إلى الدين طبعا.

الجدول رقم -2- : يبين سبب رفض الإرهابيين لعمل المرأة

الاحتمـالات	ك	%
لأن المرأة مكانها في البيت لتربية الأطفال	11	%28.94

لأن المرأة فتنة وخروجها يفسد المجتمع و الدين لا يسمح لها بالعمل خارج البيت.	24	**%63.15**
لأن المجتمع يعاني البطالة وهو في حاجة إلى عمل الذكور أولا	03	%07.89
المجمـــوع	38	%99.98

يعتقد الإرهابيون أن كل ما يتعلق بالمرأة حرام، فصورتها عورة، وتعليمها مفسدة ومصافحتها إثم، ووجهها يثير الشهوة، ومحرم عليها أن تختلط بالناس والمجتمع، أو تسعى للرزق و العمل أو تتولى وظائف أو مسؤولية، فقد أكد **63.15%** من المبحوثين الذين يرفضون عمل المرأة، أن هذه الأخيرة فتنة و خروجها من بيتها يفسد المجتمع، وأن الدين الإسلامي لا يسمح لها بالعمل خارج البيت.

إن إجابات بعض المبحوثين كانت متطرفة للغاية، إذ أكدوا فيها أن المرأة لا تخرج من بيتها إلا لثلاث مرات في حياتها كلها، يوم تولد فتخرج إلى الدنيا، ويوم تتزوج فتخرج إلى بيت زوجها، ويوم تموت فيخرج بها إلى القبر، وهم بالتالي يعتقدون أن المرأة المسلمة قد فجرت بخروجها من بيتها، وأن العمل مهما كان شريفا فهو محرم عليها.

إن المبحوثين في حكمهم السابق، يستندون طبعا إلى الدين وهذا هو الإغراق الشديد في الأخذ بظواهر النصوص الدينية على غير علم بمقاصدها وسوء الفهم لها، الأمر الذي قد يصل بالمرء إلى درجة الغلو في الدين، ولذلك يرى " محمد سليم العوا " أن اللفظ الصحيح في وصف التطرف هو لفظ (الغلو)، وهو اللفظ الذي جاء في القرآن الكريم، حيث نهى الله سبحانه وتعالى أهل الأديان السابقة للإسلام على الغلو في موضعين من الكتاب العزيز، أولها في سورة النساء(17) " يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق"، وثانيهما سورة المائدة (77) " قل يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا سواء السبيل" [1].

كما يرى المتطرفون أن هدم المجتمع ومؤسساته، وقتل الناس- الكفرة على حد قولهم- هو نوع من التقرب إلى الله وجهاد في سبيله مثلما يبينه الجدول رقم-3-.

الجدول رقم -3- : يبين قناعة الإرهابيين بأن الأعمال الإرهابية التي قاموا بها هي جهاد في سبيل الله

الاحتمـالات	ك	%
جهاد في سبيل الله	46	**%76.66**
عمل ثـوري	00	%00
عنف سياســي	07	%11.66
عمل إرهابـي	02	%03.33
غيـر مبيـن	05	%08.33
المجمـــوع	60	%99.98

كما سبق و أن ذكرنا في تحليل الجدولين السابقين أن التطرف أو الغلو في الدين هو ناجم عن الانحراف في فهم القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة, و هذا ما يظهر من خلال تأكيد نسبة **76,66%** من المبحوثين و اقتناعهم بأن ما قاموا به من عمل هو جهاد في سبيل الله لا غير, و ذلك بحجة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر, بينما نلاحظ أن من اعترفوا بأن ما قاموا به من أعمال إرهاب كانت نسبتهم منخفضة جدا 3,33% إذا ما قورنت بالنسبة الأولى.

لقد جاءت معظم أحكام جماعة التكفير و الهجرة بتكفير المسلم و استحلال دمه, و ذلك حسب ما جاء بكتاب "فقه السنة" لـ"سيد سابق" حيث جاء في الجزء الأول صفحة 158(ترك الصلاة جحودا و إنكارا لها كفر و خروج عن الملة، أما من تركها مع إيمانه

---

1) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سابق،ص 150.

بها و اعتقاده فريضتها, و لكنه تركها تكاسلا بما لا يعد في الشرع عذرا, فقد حرصت الأحاديث بكفره و وجوب قتله)، و في كتاب " الفتوى الحموية الكبرى " " لإبن تيمية " (يحكم عليه بالكفر و يقتل)[1].

و إذا كان الجهاد في الفقه السني التقليدي, على قول الدكتور " رضوان السيد ", هو فرض كفاية, فان ما ورد في رسالة "محمد عبد السلام فرج " أحد قادة تنظيم الجهاد المشارك

في التخطيط لاغتيال الرئيس المصري السابق "أنور السادات " أمر خطير للغاية, إذ اعتبر الجهاد فرض عين, بل الأخطر من ذلك كله أنه فريضة في الداخل الإجتماعي الإسلامي، و هو بذلك يستخدم آيات في الغالب وردت في سياق الصراع بين المسلمين بالمدينة, و قريش المعادية بمكة المكرمة لمصارعة الجاهلية الكافرة . على حد زعمه . في عقر دار الإسلام [2].

و هكذا وجب قتال الكفرة و الجهاد في سبيل الله من أجل النهي عن المنكر و القضاء على الفساد في الأرض, بينما شروط القتال في الإسلام واضحة و صريحة, و يتضح ذلك بما جاء في قوله تعالى " وقاتلو في سبيل الله الذين يقاتلونكم و لا تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين " (سورة البقرة= 190)، فهذا دليل واضح يسقط مباشرة دعوى القول بأن الكافر يمكن أن يقتل لمجرد كفره, فالقتال مع أي كافر مشروط بأن يبدأ هو بالقتال أو الاعتداء على المسلمين و إذا ما خالف المسلمون ذلك فهم في عداد المعتدين كما ذكر الله ذلك في كتابه الحكيم.

غير أن الأمر يصبح خطيرا جدا عندما يحمل هؤلاء الإرهابيون قناعة راسخة لا جدال فيها بأن فتوى الجهاد (المزعوم) مصدرها القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة وليس المفتين الذين يتبعونهم، وهي الفكرة التي أقنعهم بها هؤلاء كما سبق ذكر ذلك، وهذا ما يظهره الجدول رقم-4-.

---

1) المرجع نفسه، ص22.

2) هشام الحديدي، مرجع سابق، ص ص 54 55.

الجدول رقم -4- : يبين مصدر فتوى الجهاد بالنسبة للإرهابيين

الاحتمالات	ك	%
القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة	31	**%67.39**
فتوى العلماء	15	%32.60
المجمـــوع	46	%99.99

لقد أكد **67.39%** من المبحوثين أن القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة هما مصدر فتوى الجهاد، بينما كانت نسبة من أرجعوا هذه الفتوى إلى المفتين 32.60%.

إن النسبة المرتفعة التي سبق ذكرها إنما تدل على أن الإرهابيين مقتنعون بأن الله هو من دعاهم إلى الجهاد في سبيله و بالتالي واجب ولزام عليهم القيام بذلك حتى يكسبوا رضاه عليهم، وبالتالي فإن مصدر الفتوى هو من الله سبحانه وتعالى، وهكذا واجب عليهم الاقتناع بها، إلا أن الجدول رقم-5- يبين التناقض الذي وقع فيه هؤلاء.

الجدول رقم -5- : يبين جهل الإرهابيين للآيات الداعية للجهاد

الاحتمـالات	ك	%
الذين ذكروا الآيات القرآنية التي تدعو إلى الجهاد بشكل سليم	9	%19.56
الذين ذكروا الآيات القرآنية التي تدعو إلى الجهاد بشكل خاطئ	6	%13.04
الذين كانت إجابتهم " لا أعرف " أو " لا أحفظ "	31	**%67.39**
المجمـــوع	46	%99.99

إذا كان الإرهابيون يدعون أن القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة هما مصدر فتوى الجهاد، فإن نسبة المبحوثين الذين أجابوا بعبارة " لا أعرف" أو "لا أحفظ" عند سؤالهم عن الآيات التي تدعو إلى الجهاد كانت **67.39 %** وهي بالصدفة جاءت مطابقة لنسبة الذين أرجعوا هذه الفتوى إلى القرآن و السنة، بينهما لم تتجاوز نسبة الذين ذكروا الآيات القرآنية الداعية إلى الجهاد بشكل سليم 19.56 %، وهي نسبة منخفضة مقارنة بنسبة الذين عجزوا عن الإجابة.

على الرغم من كل ما سبق فإن هؤلاء وأمثالهم يقدمون أحكاما على المجتمع ويحللون ويحرمون ما يشاؤون، ويكفرون من يريدون وهم بذلك يميلون دائما إلى النظر إلى معتقداتهم على أنها صادقة صدقا مطلقا وأبديا وأنهم مصلحون لكل زمان ومكان، وبالتالي لا مجال لمناقشتهم ولا للبحث عن أدلة تؤكد معتقداتهم أو تنفيها.

وهنا يحق لنا أن نتساءل؛ من نصب هؤلاء قضاة على المجتمع إذا كانوا لا يحفظون حتى الآيات التي تدعو إلى الجهاد؟. ونحن إذ ركزنا على عنصر الجهاد فإن ذلك يرجع إلى كون هذا الأخير هو المبرر الوحيد الذي يلجأون إليه لشرعنة أعمال العنف التي يقومون بها، وهل يمكن لأي فرد أن (يجاهد) وهو لا يعلم حتى المعنى الحقيقي لهذا اللفظ، وينسب ما يقوم به من قتل وترويع إلى القرآن الكريم الذي يبين الجدول رقم -6- أن نسبة من يحفظه كله ضئيلة جدا.

الجدول رقم -6- : يبين مدى حفظ الإرهابيين للقرآن الكريم

الاحتمالات	ك	%
كله	4	%06.66
بعضه	24	%40
الآيات الصغيرة	27	**%45**
لا	5	%08.33
المجموع	60	%99.99

لقد بينت الدراسة الميدانية التي قمنا بها أن نسبة المبحوثين الذين يحفظون القرآن الكريم لا تتعدى 06.66 % ، بينما كانت نسبة الذين يحفظون الآيات الصغيرة فقط **45%** أما نسبة من يحفظ بعضا منه فكانت 40 %، فيما أكد 08.33% منهم أنهم لا يحفظون أي شيء من القرآن الكريم.

إن إرجاع الإرهابيين أفكارهم المتطرفة إلى الدين هو ناجم عن فهمهم السطحي للقرآن الكريم، وعدم التفقه الحقيقي في الدين وكذا عدم التفرغ لدراسته مما جعلهم يصدرون أحكاما غير صحيحة، بل ومخالفة لما جاء به الشرع.

وفي هذا الصدد يذكر "حسين عبد الحميد أحمد رشوان" في دراسته حول التطرف والإرهاب في مصر حادثة غريبة بل و مخزية لنا نحن كمسلمين حيث يقول، أنه جاءت إلى

الشرطة فتاة منقبة تشكو أنها حامل ولا تعرف والد جنينها، فقد تزوجها الأول ثم طلقها بعد شهر واحد ثم جاء الثاني ليتزوجها فطلبت منه أن ينتظر العدة كما قال تعالى(ثلاثة قروء) وجاءها بعد ثلاثة أيام وقال لها أن أمير الجماعة أفتى له أن " القروء" التي ذكرت في القرآن ليست ثلاثة أشهر قمرية كما تظن، ولكن أن يقرأ القرآن ثلاث مرات، ولما كانت(قل هو الله أحد) تمثل ثلث القرآن فقد قرأها عدة مرات في ثلاثة أيام وأصبحت تحل له شرعا، وهكذا أصبحت لا تعرف الأب الشرعي للجنين[1].

إن هذه الحادثة وقعت في بلد مسلم، وكان أبطالها من أبناء المجتمع المسلم، فهل يعقل أن يحدث كل ذلك باسم الدين وباسم القرآن الكريم الذي أصبح كل يفسر آياته كما يشاء، وهنا يظهر – بما لا يدع مجالا للشك- غياب الدور الفاعل للدولة التي كان من المفروض أن تشغل هذا الفراغ بمحاولة تبصير الناس لما جاء به الدين الإسلامي من خلال العلماء الحقيقيين، الذين بامكانهم فعلا التفسير و الفتوى في أمور الدنيا و الدين، وبالتالي تقطع الطريق أمام من في قلوبهم زيغ.

1) حسين عبد الحميد أحمد رشوان، مرجع سابق، ص28.

الجدول رقم-7-: يبين مدى قراءة الإرهابيين لكتب الدين الحقيقية

الاحتمـالات	ك	%
الذين قرأو كتب الدين	19	%31.66
الذين لم يقرأوا شيئا	41	**%68.33**
المجمـــوع	60	%99.99

بالإضافة إلى عدم حفظ الإرهابيين للقرآن الكريم فإنهم أيضا لم يقرأوا شيئا من كتب الدين الحقيقية، حيث كانت نسبة هؤلاء **68.33 %**، فيما كانت نسبة الذين قرأو بعض الكتب الدينية 31.66%، إلا أن اللافت للانتباه هو أن الذين أكدوا أنهم قرأوا كتب الدين، عندما طلبنا منهم ذكر أهم عناوين الكتب التي قرأوها، ذكر معظمهم عناوين كتب" لابن تيمية" و " سيد قطب".

وإذا رجعنا إلى الكتاب الشهير " لسيد قطب " " معالم في الطريق"، يمكننا الوقوف على ما جاء في هذا المؤلف من تطرف ديني خطير جدا، حيث يقول فيه: " إن المجتمعات القائمة كلها مجتمعات جاهلية وغير إسلامية ... وإنه ينبغي التصريح بلا وجل أن الإسلام لا علاقة له بما يجري في الأرض كلها اليوم، لأن الحاكمية ليست له، والبديل الوحيد لهذه الأوضاع الزائفة هو أولا، وقبل كل شيء قيام مجتمع إسلامي، يتخذ الإسلام شريعة له، ولا تكون له شريعة سواه..."[1].

وعندما يقرأ أشخاص ممن غاب عنهم الوعي مثل هذه الفتاوى، كيف يمكن لهم ألا ينساقوا وراء مثل هذه الأقوال و الأحكام المتطرفة، خاصة وأنها جاءت لتسد الفراغ الذي يعانيه المجتمع الجزائري على مستوى التربية الدينية، هذه الأخيرة الغائبة عنه منذ الاستقلال، وحتى إن كان هؤلاء يؤدون الفرائض العادية كالصلاة و الصوم كما سيتضح من خلال الجدول رقم-8-، إلا أن ذلك لا يعني أنهم على وعي حقيقي بمضمون هذه الممارسات الإسلامية.

---

1) هشام الحديدي، مرجع سابق،ص 57.

الجدول رقم -8- : يبين نسبة الإرهابيين الذين يؤدون الصلاة ويصومون رمضان

الاحتمالات	الصلاة		الصوم	
	ك	%	ك	%
نعم	56	**%93.33**	59	**%98.33**
لا	4	%06.66	1	%01.66

المجمـوع	60	%99.99	60	%99.99

لـم يكـن أمـرا مفاجئـا عنـدما أظهـر هـذا الجـدول أن نسـبة مـن يـؤدون الصـلاة هـي **93.33%**، ونسـبة الـذين يصـومون رمضـان هـي **98.33%**، لأن الإرهـابيين يـؤدون هـذه الفرائض بصورة آلية دون محاولة لفهم المضمون السمح الذي تحمله هذه الفرائض.

وإذا عدنا إلى أبشع الجرائم الإرهابية التي وقعت في الجزائر، فإنه دون ريب ستكون تلك التي كان يشهدها شهر رمضان من كل سنة، حيث شكل هذا الشهر في الفترة الدامية التي عاشها الجزائريون محطة رعب يقبضون فيها أنفاسهم ويدعون الله أن يمر هذا الشهر بأقل حصيلة للضحايا، فإذا كان المفروض أن شهر رمضان هو للعبادة والخشوع و التقرب من الله سبحانه وتعالى، و التسامح بين المسلمين، فإن هؤلاء المتطرفين يفهمون التعبد والتقرب من الله بطريقتهم الخاصة كما سبق وأن عرفنا ذلك من خلال تحليلات الجداول السابقة، فهم يكثرون من عملياتهم الإرهابية خاصة تقتيل الأبرياء ويضعونها قربانا لأجل التقرب إلى الله.

الجدول رقم -9- : يبين عدم تدين الإرهابيين

الاحتمالات	ك	%
نعم	14	%23.33
لا	46	**%76.66**
المجمـوع	60	%99.99

لقد اتضح من الجدول السابق أنه على الرغم من أن الإرهابيين يؤدون فرائضهم العادية إلا أنهم غير واعين لمقاصدها الحقيقية وهذا لابتعادهم عن الدين، ويظهر ذلك من خلال إجابة المبحوثين عن السؤال المتعلق بالتدين، حيث أكد**76.66 %** منهم أنهم غير متدينين بل كانوا أشخاصا عاديين، فيما أكد 23.33% من المبحوثين أنهم كانوا متدينين وهي نسبة ضئيلة مقارنة بالنسبة الأولى.

إذا كان العلمانيون، أو كما اصطلح على تسميتهم بالاستئصاليين، يعتقدون أن ارتباط الأفراد بالدين هو الذي يقودهم إلى التطرف مما جعلهم يطالبون بضرورة فصل الدين

عن الدولة ومحاولة تغييب أجهزتها المختلفة عن القيام بواجبها المتمثل في التوعية الدينية والتربية الإسلامية الحقيقية للمجتمع الجزائري حيث نجحوا إلى حد كبير في مسعاهم هذا منذ الاستقلال وإلى غاية اليوم، فإنهم لم يعوا أن ما تعانيه المجتمعات الغربية اليوم من عنف وإجرام وتفسخ أخلاقي وتشرذم للعلاقات الإنسانية سببه ابتعاد الدولة، وبالتالي المجتمع، عن الدين حتى أن هناك في الغرب من أصبح اليوم يطالب بضرورة عودة الكنيسة إلى دورها الذي سلب منها في وقت سابق، وبالتالي غياب التدين هو الذي يقود إلى التطرف نتيجة استغلال بعض الجهات للفراغ الديني الذي يعانيه أفراد المجتمع.

إن النتيجة التي أظهرها الجدول رقم -9- لم تكن مفاجئة أبدا، حتى وإن كان البعض يعتقد أن الإرهابيين هم أشخاص متدينون نتيجة محاولتهم الدائمة إلصاق أنفسهم بالدين، وهي لم تكن مفاجئة كون الجداول السابقة بينت بشكل واضح ابتعاد هؤلاء الأشخاص عن الدين، وإذا كنا قد وصفناهم في موضع معين من البحث بالمتطرفين دينيا فهنا يجب توضيح فكرة هامة وهي وجوب التمييز بين المتدين و المتطرف دينيا.

إن المتدين هو الملتزم بأحكام الدين و السائر على منهاجه، وهذا السلوك طبعا يعود بالخير والفلاح على صاحبه وعلى المجتمع ككل، وهو بالطبع مطلوب ومرغوب فيه ومحمود عند الله وعند الناس، وبهذا يكون التدين ظاهرة إيجابية طالما ظل في إطار من الفهم الصحيح السديد والتمسك الرشيد بالتعاليم الدينية، والقيم الأخلاقية، بينما المتطرف دينيا فيعني الإغراق الشديد للفرد في الأخذ بظواهر النصوص الدينية على غير علم بمقاصدها وسوء الفهم لها، وهذا هو حال الإرهابيين في الجزائر.

وإذا كان الإرهابيون يعانون ابتعادهم عن الدين فإن ذلك راجع إلى نشأتهم في أسر غير متدينة، وهنا نقصد التربية الدينية الحقيقية التي من المفروض أن ينشأ عليها الفرد داخل أسرته، وهذا ما يظهره الجدول رقم -10-.

الجدول رقم -10- يبين نشأة الإرهابيين في أسر غير متدينة

الاحتمالات	ك	%
نعم	16	%26.66

لا	44	**%73.33**
المجمـوع	60	%99.99

أكد **73.33 %** من المبحوثين أنهم نشأوا في أسر غير متدينة، الأمر الذي جعلهم لا يتلقون التربية الدينية اللازمة حتى ينشأوا بشكل سوي يبعدهم عن أي انحراف في سلوكهم داخل المجتمع.

وإذا كان غياب الدولة في مجال التربية الدينية له تأثير سلبي على المجتمع، فإن غياب دور الأسرة في هذا المجال هو أيضا له تأثير سلبي على أفرادها، وبالتالي على المجتمع ككل، لأن الفرد الذي ينشأ على طاعة الله ويتمسك بالدين ويكون ذا وعي ديني كبير يكون محصنا ضد التيارات المتطرفة التي تجذب الأشخاص ذوي النفوس الضعيفة.

الجدول رقم -11- : يبين المستوى التعليمي لآباء وأمهات الإرهابيين

الفئـات	الأب		الأم	
	ك	%	ك	%
أمــي	32	**%53.33**	44	**%73.33**
ابتـدائي	16	%26.66	10	%16.66
متوسـط	9	%15	3	%05
ثانـوي	2	%03.33	3	%05

الجامعـي	1	%01.66	0	%0
المجمـوع	60	%99.98	60	%99.99

يعتبر تدني المستوى التعليمي لآباء وأمهات الإرهابيين سببا في عجزهم عن تقديم التربية الدينية اللازمة لأبنائهم وهذا ما أكدته نتيجة الجدول رقم -11- حيث أثبتت الدراسة الميدانية أن **53.33%** من آباء المبحوثين أميون، كما كانت نسبة الأمهات الأميات **73.33%** ، وهما نسبتان مرتفعتان بالمقارنة مع النسب الأخرى.

إن انخفاض المستوى التعليمي للوالدين لا يمكن اعتباره سببا حقيقيا لتطرف الأبناء وتحولهم إلى إرهابيين، لأن المجتمع الجزائري يعاني بشكل كبير من ظاهرة الأمية وطبعا ليس كل من كان والداه أميين سيكون بالضرورة إرهابيا، وإنما تعتبر الأمية عنصرا مساعدا ومهيئا لتطرف الأفراد بسبب غياب الوعي الكافي، حيث أنه من الثابت أن للتعليم دورا هاما وجوهريا في خلق هذا الوعي و تنمية المعارف بالنسبة للمرأة والرجل على حد سواء، وحتى يتمكن المجتمع من إعداد جيل يتميز بالتوازن العقلي و النفسي فإن ذلك بدوره لا يتأتى من فراغ، وإنما يكون نتاجا لعمليات ذات مستوى عال من التنشئة الاجتماعية.

ومن هنا تأتي أهمية التعليم في مد الأبوين بالخلفية الثقافية والعلمية التي تمكنهما من تربية الأبناء وتنشئتهم التنشئة السليمة، وغرس القيم و المفاهيم المتعارف عليها و المقبولة اجتماعيا، والتي تمكنهم من التعامل مع العالم الخارجي، أي مختلف المؤسسات الاجتماعية خارج نطاق الأسرة، وتدعم شخصياتهم وتنمي مهاراتهم وامكاناتهم الخاصة حتى يتسنى لهم القيام بدورهم المستقبلي بشكل سليم.

ومادمنا في إطار علاقة المستوى التعليمي بالإرهاب، فقد توصل كل من الباحثين " رشوان" و" سيف الإسلام شوية " إلى وجود علاقة بين تدني المستوى التعليمي للإرهابيين والإرهاب، حيث كانت أكبر نسبة من الإرهابيين هم من الأميين أو ذوي التعليم الابتدائي، بينما جاءت نتائج الدراسة الميدانية التي قمنا بها مغايرة لنتائج هذه الدراسات، وجديدة تحتاج منا إلى تحليل أعمق.

الجدول رقم -12-: يبين المستوى التعليمي للإرهابيين

الفئـات	ك	%
أمـي	4	%06.66
ابتـدائي	3	%05
متوسـط	22	%36.66
ثانـوي	30	**%50**
الجامعـي	1	%01.66
المجمـوع	60	%99.98

الجدول رقم -13- : يبين أعمـار الإرهابيين

الفئـات	ك	%
أقل من 20 سنة	2	%03.33
من 20-40سنة	53	**%88.33**
أكثر من 40 سنة	5	%08.33
المجمـوع	60	%99.99

لقـد أكـدت دراسـتنا الميدانيـة أن النسـبة الأعلـى مـن الإرهـابيين توزعـت بـين التعلـيم الثانوي **50%**، والتعليم المتوسط**36.66 %**، كما مثلت فئة الشباب عشرين إلى أربعين سنة أعلـى نسبة، حيث وصـلت إلـى **88.88%** وهـي نسبة مرتفعـة جدا إذا مـا قارناهـا بالفئـات المتبقية.

إن الشباب الذين مثلوا أعلى نسبة من الإرهابيين هم أولئك الأشخاص الذين طردوا من الدراسـة، هذه الأخيرة التـي كانـت قد احتضـنتهم لأكثر مـن عشـر سـنوات إلا أنـه لسـوء حظهم طردوا إلى الشارع في فترة صعبة جدا من تاريخ الجزائر، أي فـي الوقت الذي اشتدت فيـه الأزمـة الاجتماعيـة التـي عصـفت بـالبلاد، وهكـذا وجـد هؤلاء الشـباب أنفسـهم فـي حالـة ضـيـاع فكـانوا فريسـة سـهلة فـي أيـدي أشـخاص اسـتغلوا الأوضـاع الاقتصـادية والاجتماعيـة المتردية لهذه الفئة للوصول إلى أهدافهم.

النتيجة الجزئية الأولى

من خلال دراستنا هذه توصلنا إلى أن الإرهابيين هم أشخاص متطرفون دينيا, و متعصبون جدا في تفكيرهم, حيث يتميزون بالإغراق الشديد في الأخذ بظواهر النصوص الدينية على غير علم بمقاصدها, **و هذا بسبب الفهم السطحي للدين**، الجداول(1)، (2)، (3) (4).

و كما سبق و أن ذكرنا فإن إرجاع الإرهابيين أفكارهم المتطرفة إلى الدين هو ناجم عن فهمهم السطحي له, و عدم التفقه الحقيقي فيه, و كذا عدم التفرغ لدراسته, مما جعلهم يصدرون أحكاما غير صحيحة, بل و مخالفة لما جاء به الشرع، **و هذا بسبب غياب الدور الفاعل لمِؤسسات الدولة التي كان من المفروض عليها أن تشغل الفراغ الديني, الذي**

يعانيه المجتمع الجزائري بمحاولة تبصير الناس بما جاء به الدين الإسلامي الحنيف من خلال العلماء الحقيقيين الذين بإمكانهم فعلا التفسير و الفتوى في أمور الدين، الجداول (5)، (6)، (7).

إن الاعتقاد بأن الإرهابيين هم أشخاص شديدو التدين هو اعتقاد خاطئ, بل هم شديدو التطرف و ليس التدين, كما سبق و أن وضحنا هذه الفكرة في دراستنا، فهؤلاء الأشخاص إذن بعيدون عن التدين بسبب نشأتهم في أسر غير متدينة ذات مستوى تعليمي محدود, الأمر الذي أثر عليهم كأفراد, و على المجتمع ككل باعتبارهم جزء منه، **فكان ذلك بسبب غياب التربية الدينية داخل الأسرة و المجتمع**، الجدول من (8 إلى12).